الإنفصـ ـال

قام الإنفصال ونحن لاجئون في بلغاريا، فلقد هبّ الـشعب الـسوري مـن أقصى اليمين الى أقصى اليسار ليتخلص من حكم الطاغية عبد الناصـر، ويـده اليمنى عبد الحميد السراج.. وفي بلغاريا زارنا فاضل المهداوي الذي كان يقـود المحاكمات زمن عبد الكريم قاسم، وكنا ننزل في فـيللا فـي بانـشريفو قـرب العاصمة صوفيا، ونتجول في البساتين المحيطة بها هو وأبناؤه الثلاثة مناضـل ونضال وجهاد (لست أذكر بدقة الأسماء ولكنني أذكر أنهـا أسـماء نـضالية) والفريق في المقدمة، ونتبعهما أنا وزوجته.. هو يحدث الفريق عما يعانونه مـن عملاء عبد الناصر، وهي تحدثني عما تعانيه هي وأبناؤها الثلاثة بسبب مطاردة مباحث عبد الناصر وتهديدهم لهم بالقتل، بينما كانت دعاية عبـد الناصـر فـي سوريا تتهم الفريق بأنه في العراق يقود الدبابات ويسحل القـوميين الناصـريين هناك..

عند وقوع الإنفصال عدنا مباشرة الى سوريا، وبدأنا نسمع بكل مـا جـرى أثناء غيابنا وانشغل الفريق بكتابة دراسته "الناصرية في جملة الإستعمار الحديث، وأنا شغلت في كتابة روايتي "بيوت بلا رجال، وكنت أستقي أحداثها مباشرة من أفواه الذين عانوا من الوحدة.. وأحال أسباب فشلها.. كانت فترة الإنفصال متنفسا للقيادات السياسية أن تعبر عن آرائها في عبد الناصـر، وللنـاس العـاديين أن يقولوا ما عندهم.. أما أجهزة الإعلام المصرية ومخابرات عبد الناصر فكانـت تذيع وتنشر الإفتراءات والأكاذيب على الكثيرين ممن كانوا من أكثر المتحمسين للوحدة ثم أصبحوا بعد تجاربهم المريرة فـي تطبيقهـا أول مـن وقّعـوا عقـد الإنفصال.. كان أكرم الحوراني منهم وفي تعليق له، أدلى به الى صوت العرب في الصحيفة ذاتها التي ظهر فيها مقال الفريق الذي كشف فيـه أسـرار ثـورة

العراق، على اتهام أجهزة إعلام القاهرة له بأنه يسعى الى رئاسة الجمهوريـة، ويبيع شعبه في سبيلها، ويرتمي لتحقيق مطلبه في أحضان الرجعية فقال:

"كنت نائبا لرئيس الجمهورية في إقليميها، وكنت مستطيعا لو رضـيت أن أبيع أمتي وقضيتي بالمناصب أن أبقى، ولو طلبت القبض لقبـضت مـن عبـد الناصر نفسه باسم الديموقراطية والإشتراكية والوحدة العربية، فالعمل معه أربح لي وأعظم فائدة، ولكنني فضلت أن أبقى أمينا لكل ما آمنت به. ويـوم يعـرف الشعب عن المبالغ التي أنفقها وينفقها على عملاء يشتريهم سيـصيبه الـذهول.. وقال أنا لست كعبد الناصر أفرض نفسي على الشعب حاكما فردا يعامل نوابـه ووزراءه بما لا يحتمله انسان سويّ ذو كرامة..

وقال أكرم الحوراني أن عبد الناصر يتكلم عن الأخلاق، وهو آخر من يحق له في الوطن العربي كله أن يتحدّث عن الأخلاق.

لقد جابهته بهذا يوم أزمعت على تقديم استقالتي، وقلت له في وجهه: أنت يا عبد الناصر بلا أخلاق، فحوّل نظره الى الجدار لئلاّ تقع عينه في عينـي، ولأن مواجهته بالحقيقة أصابت منه الحقيقة ذاتها، تابعت يومها شرح وجهة نظري في انحرافه، وفي سياسته الميكيافيلية التي طعن بها القضية العربية في صميمها.

ان عبد الناصر بلا أخلاق هذه هي حقيقته، ونقطة ضعفه، وسـأفرد بحثـا خاصا لأخلاق عبد الناصر في الحكم والسياسة، أروي فيها من الوقائع والحوادث ما لا يصدق المواطنون أن في وطننا العربي حاكما بلغ من الإنحدار الأخلاقـي هذه المراتب. وكنت قد فضحت في بياناتي السابقة جانبـا مـن أخلاقيـة عبـد الناصر، ومساومته الإتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي على ضرب الإشتراكية في سورية.

وقال أكرم الحوراني أن عبد الناصر كان يزمع تنفيذ مخططه خلال شهري حزيران وتموز، ويبدأ بسلسلة من الإضرابات تشمل الموظفين والعمال، وتتبعها

موجة من العنف وعمليات النسف والإغتيال، وتحريض بعض الـضباط علـى الفتنة والعصيان. ولكن هذا المخطط الإجرامي أخفق، وهذه سورية مستقرة وقد أحبط شعبها المؤامرة وخنقها في مهدها.

وبعد أن شبهه بنوري السعيد أضاف:

- واليوم فان عبد الناصر يمثل الدور نفسه، يتلقى المساعدات مـن الغـرب ليقوم بتخريب سورية، وشراء الضمائر فيهـا، وتنظـيم شـبكات المخـابرات والتجسس بهدف اشاعة الفوضى والقيام بأعمال النسف والتدمير.

وقال أكرم الحوراني أن مخطط عبد الناصر يهدف الى تحقيق عـدد مـن الأغراض، تأتي قضية فلسطين في طليعتها، فهو بمحاولة تخريب سورية، انمـا يرمي في الواقع الى تنفيذ مخطط تصفية فلـسطين، ولا أدل علـى ذلـك مـن تحريضه إسرائيل في خطابه الأخير على احتلال دمشق، وتعريـضه بـالجيش السوري العربي، والتشكيك في قدرته على حماية سورية، وتحذيره من أنه يخدم بهذا الإستعمار وإسرائيل.

وأضاف أنه لن يفرح في أن يقف خطيبا في الشعب العربي بمـصر علـى أشلاء ودماء الشعب العربي في سورية ليزف اليه بشرى انتـصاراته، ويـستمد منها مزيدا من القدرة على خنق حرية شعب مصر العربي وطعن تطلعـه الـى التقدم وتشوقه الى الحرية والديموقراطية"..

* * *

كتب المهداوي

وصلنا ونحن في دمشق من فاضل المهداوي مجموعة كتبه عن المحاكمات في العراق، وكان الفريق قد أنجز كتابه "الناصرية في جملة الإستعمار الحـديث" وطبعه على حسابه الخاص في سبعة آلاف نسخة الى العراق بناء علـى طلـب

المهداوي وعبد الكريم قاسم. ولكن ما لبث أن انتصر الإنقلاب البعثـي المـضاد لهما في العراق وأعدما..

عجل بعثيو سوريا في انقلابهم بعد شهر من تاريخ الإنقلاب البعثي العراقي، ولوحق الفريق من قبل البعث كما لوحق كتابه، واضطر الى الإختفاء فترة فـي دمشق في بيت صديق له محام كان منزله يقع قبالة منزل ميشيل عفلق، وكـان يراه من بين ستائر نافذته يجلس متسلطنا في شرفته، وجهاز مباحثه ينقـب دون جدوى في كل مكان في دمشق.. كان اسم الفريق في القائمـة الـسوداء التـي يلاحقها البعث، والبيطار يصرخ في الإذاعة ويهدد من يؤويهم بعقوبة صارمة.. كان صراع الفريق مع البيطار معروفا منذ قبل الوحدة في الجبهة الوطنية، فلقـد لقي التأنيب من الفريق لأنه كان وهو وزير خارجيتنا ومندوبنا في الأمم المتحدة يتلكأ في تقديم شكاوي سورية من تجاوزات اسرائيل الى الأمم المتحـدة.. أمـا ميشيل عفلق فلقد روّج عنه نكتة بطبعه المرح وشبّهه بقرد ذكي كان يقف وراء جميع القرود المحتشدة في القفص في حديقة الحيوانات في مصر حيث كنا نذهب مع الصغيرين ابان الوحدة ونتسلى باطعام القرود، فكان القرد الذكي ينسل مـن بين القرود ويقف وراءها ويلوّح بيديه الإثنتين كأنما يقول "أنا هنا، أنا هنا" كـان عفيف يصف ميشيل عفلق وموقفه من الإمبريالية لجر المعونات والمساعدات من الغرب كما يفعل عبد الناصر وسواه من حكام العرب، بذلك القرد الذكي الـذي يلوّح بيديه ليتلقى مايقذفه اليه زوار الحديقة من ثمار..

بقي في منزل المحامي قرابة شهر قبل أن ينقله أصدقاؤه الى لبنان، ولقـد زرته في ذلك البيت ورأيته وقد طال شعر رأسه وشاربيه، فقمت بدور الحـلاق حتى لا يستريب بمنظره رجال أمن الحدود..